معالم الرحمة
في الدعوة إلى الله
في القرآن الكريم
"مع سورة الأعراف أنموذجًا"

إعداد:

أ. د. خالد بن عبدالله بن عبدالعزيز القاسم

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. أما بعد:

أهمية البحث:

الدعوة إلى الله سبيل الأنبياء وأتباعهم ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف:] وهي مهمة أمة محمد ﷺ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

والدين إنما يقوم بالدعوة إليه، والدعوة إلى الله إذا قامت كما يجب تأتي بالخير للبشرية جمعاء، وإذا قامت على خلاف منهج الله فإن آثارها تكون عكسية وتكون صدًا عن سبيل الله.

ومنهج الدعوة يؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن سمات الدعوة إلى الله التي ينبغي أن تكون في الدعاة دعوتهم الرحمة التي هي رسالة النبي ﷺ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

هدف البحث:

يهدف البحث إلى إظهار معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن عمومًا مع أخذ سورة الأعراف أنموذجًا، وما في السنة من المعاني القريبة.

منهج البحث:

سأنهج في البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي من القرآن الكريم لآيات الرحمة في الدعوة إلى الله وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة لا تحصى في أهمية الرحمة في الدعوة إلى الله في الكتاب والسنة أو ضمن صفات الأنبياء وخاصة النبي ﷺ أو صفات الدعاة، وفي هذا البحث سأقتصر على معالم الرحمة في القرآن في الدعوة إلى الله مع سورة الأعراف أنموذجًا، وهو لم يأت في الدراسات التي رأيتها واطلعت عليها.

مشكلة البحث:

تتكرر آيات الرحمة في القرآن الكريم لا سيما في موضوع الدعوة إلى الله مع إعراض بعض الدعاة عن ذلك في دعوتهم.

ويأتي هذا البحث لبيان أهمية الرحمة في القرآن الكريم وبيان معالمها، مع سورة الأعراف أنموذجًا.

خطة البحث:

تمهيد في معاني الرحمة والدعوة إلى الله.

المبحث الأول: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم وصلته بالدعوة.

المطلب الثاني: الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهداية.

المطلب الرابع: رحمة الأنبياء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: رحمة النبي ﷺ.

المطلب السادس: رحمة الدعاة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في سورة الأعراف أنموذجًا.

* * *

تمهيد
معنى الرحمة

الرحمة في اللغة: الرقة والتعطف(١).

الرحمة تقتضي الإحسان إلى المرحوم(٢).

وهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه(٣).

ومنها الرحم، لأن منها ما يكون يرحم ويرق له من ولد(٤).

وهي بين الزوجين﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

[الروم:٢١].

وأعظم رحمة تعريف الناس بربهم وخالقهم وإنقاذهم من الضلال إلى الهدى والنجاة من عذابه في الآخرة، بل إسعادهم في الدنيا والآخرة.

كما أن المعرضين عنه المكذبين له الصادين عنه المقاتلين له يأمر الله بالشدة معهم وقتالهم، وهذا فيه معنى من معاني الرحمة من حماية الدين وقهر الكفار حتى يدخلوا في الدين وتبيين لهم حقائقه..

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٥/٥٠. لسان العرب، ابن منظور، ١٢/٢٣٠. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/٤٩٨. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٨١٧.

(٢) انظر: مفردات اللغة، الراغب الأصفهاني، ١/٣٤٧.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/٤٩٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/٤٩٨.

”وغاية الصراع في الإسلام هي هداية البشرية ودلالتها على سعادتها في الدنيا والآخرة، وترغيبها في الخضوع لربها، وأن تعبده سبحانه وتعالى كما شرع. وأن تنبذ العداوات ويسيطر الحب والإخاء على قلوب الناس، وغاية الصراع عند أعداء الحق هي تحطيم البشرية وإضلالها عن الحق، وتجهيلها بربها، وتجهيلها بآخرتها دار القرار التي هي صائرة إليه، وإفشاء العداوات والأحقاد والفتن“(١). وهذا غاية الرحمة.

معنى الدعوة:

الدعوة في اللغة:

مأخوذة من الدعاء وهو النداء. وتطلق في اللغة على التداعي ودعوة العرس، ودعاء الله والزعم والرغبة والطلب، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، والمؤذن داعي الله، والنبي ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته، والدعوة قد تكون للحق أو للباطل ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ [الرعد:١٤](٢).

الدعوة إلى الله اصطلاحًا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ”الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله“(٣).

وقيل: ”السعي لدعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام، وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته“(٤).

---

(١) الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل محمد صالح.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري، ٣/١٢٢. لسان العرب، ابن منظور ٥/٢٦٨.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ١٥/١٥٧.

(٤) انظر: الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، ص١٧.

والدعوة تشمل دعوة الكفار إلى الإسلام، وكذلك دعوة المسلمين إلى أحكام الصلاة ونحوها، ولذا فالأذان هو دعوة للمسلمين، فعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة"(١).

"والمقصود بالرحمة في منهج دعوة الإسلام اشتمال الدين الإسلامي الحنيف على الرحمة والعطف بالخلق ودعوتهم بكل مسلك فاضل ومنهج الدعوة يشتمل على حقيقة الرحمة سواء في محتواه أو في طريق نشره"(٢).

أهمية الدعوة وفضلها:

وفضل الدعوة إلى الله عظيم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»(٣).

والدعوة وبلاغ الدين وظيفة الأنبياء وأتباعهم، يأمر الله سبحانه وتعالى فيه النبي ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:].

والدعوة في أقل أحوالها فرض كفاية على أمة محمد ﷺ، وقد تتعين

---

(١) رواه البخاري، كتاب الآذان، باب الدعاء عند النداء، برقم (٦١٤).

(٢) منهج الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، راجح السباتين، من موقعه على الإنترنت.

(٣) رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤).

أحيانًا عند وجود النقص وعدم الكفاية، قال ابن باز رحمه الله: دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله جل جلاله، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤] ومنها قوله جل وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] ومنها قوله جل جلاله: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص:٨٧] ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨] فبين سبحانه وتعالى أن اتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب كما هو معلوم هو اتباعه، والسير على منهاجه عليه السلام كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله جل جلاله فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة، وعملًا صالحًا جليلًا.

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عامًا، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب: أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله جل جلاله بالطرق الممكنة، فإن الرسول ﷺ قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك الرؤساء ودعاهم إلى الله جل جلاله"(١).

فالمسلم يدعو إلى الله على بصيرة، ولا يشترط أن يكون من العلماء،

---

(١) انظر: موقع الشيخ ابن باز بعنوان: حكم الدعوة إلى الله. وانظر أيضًا: مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث والعلمية والافتاء بالسعودية عدد محرم ١٣٩٨هـ.

إنما يكفي أن يدعو بما يعلم أنه حق، فيدعو إلى لا إله إلا الله وإلى الصلاة وإلى الخير كما قال ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣].

وقد قال النبي ﷺ في حجة الوداع مخاطبًا أكبر جمع رآه، والخطاب لجميع من آمن به: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه»(١).

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»(٢) وكان من مع النبي ﷺ يتحول إلى الدعوة من أول يوم كالصديق رضي الله عنه والطفيل الدوسي رضي الله عنه(٣).

* * *

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع»، برقم (٦٧). ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١).

(٣) انظر قصته في ص١٨ من هذا البحث.

المبحث الأول
معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم

المطلب الأول
الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم وصلته بالدعوة

الرحمة من أعظم صفات الله، والله سبحانه وتعالى هو أول داعي ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥] ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ [البقرة:٢٢١] ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [إبراهيم:١٠]، وهو سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم، جاءت في أكثر آية ترددت في القرآن الكريم، وهي البسملة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] وفي الفاتحة التي تتردد في كل ركعة من ركعات الصلاة.

والداعي يدعو إلى الله الرحمن الرحيم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر(١). وقال ابن كثير: والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا(٢).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ١/١٠٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/١٢٤.

والرحمن لجميع الخلق، وقد عبر ﷾ في استوائه على العرش وهو أعظم مخلوقاته بالرحمن ليعم جميع خلقه، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]، والرحيم بالمؤمنين، قال ﷾: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٣]، فخصهم باسمه الرحيم(١).

فرحمة الله وسعت كل شيء، وهي شاملة لجميع خلقه ومنهم الكفار، ولنتأمل بعض الآيات الكريمة في سعة رحمة الله؛ قال ﷾: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٥٦] ويقول ﷾ مبينًا سعة رحمته في دعاء ملائكته ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر:٧]. فبدءوا بالرحمة.

والرحمة وردت في القرآن الكريم في أكثر من (٤٠٠) موضع(٢).

وفي الدعوة إلى التوحيد ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] ترغيبًا لهم.

والله ﷻ هو الذي كتب على نفسه الرحمة ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢] ورحمة الله سبقت غضبه ﷾، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن رحمتي سبقت غضبي»(٣)، والله يأمر نبيه ﷺ بهذا الأمر ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩].

فالله ﷾ هو أرحم الراحمين.

﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٥١].

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/١٢٦.

(٢) وبحسب البحث في معجم المصحف عن كلمات الرحمة؛ وجد: رحيم: ١١٥، رحمة: ٢٠١، راحم: ٦، غير الرحمة في البسملة ١١٢ مرة دون الفاتحة كل مرة احتوت على كلمتين، ليكون الإجمالي ٣٢٢ + ١١٢ = ٤٣٤ مرة.

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، برقم (٧٤٢٢).

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف:٩٢].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١٠٩].

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف ١١٨].

والإسلام والهداية من رحمة الله ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح:٢٥]، ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:٨]، ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان:٣١].

ورحمة الله هي سبب نجاة الإنسان وهدايته ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤]. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء:١١٣].

وفضل الله ورحمته هي سبب هداية البشرية وعصمتها من الشيطان ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

وهي خير من كل شيء ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢].

ورحمة الله لا ممسك لها ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

عن أبى هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»(١).

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٢).

المطلب الثاني
الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن الكريم

المتأمل لآيات القرآن الكريم أنه سبحانه وتعالى يعرض برحمته سبحانه وتعالى للكفار والعصاة لترغيبهم في التوبة والدخول في رحمة الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة، ومن ذلك تأتي رحمة الله في ترغيب الكفار للإسلام والتوبة ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٩٢].

ومع أهل الكتاب ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣] جاء بعدها ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٧٤].

ويأمر الله نبيه ﷺ بمخاطبة أسرى الكفار ودعوتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال:٧٠].

وفي قصص الأنبياء ودعوة أقوامهم في سورة الشعراء، تتردد الآيات الكريمات ثماني مرات(١) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٩] فهو سبحانه وتعالى مع عزته وغلبته إلا أن رحمته باقية سبحانه وتعالى في ثمان آيات بنفس اللفظ.

ومع الأعداء من الأزواج والأولاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن:١٤]، ومع ذلك يأتي التوجيه الرباني ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

وفي دعوة المكذبين ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف:٨] وفي الرد على المفترين.

---

(١) سورة الشعراء الآيات: ٩/ ٦٨/ ١٠٤/ ١٢٢/ ١٤٠/ ١٥٩/ ١٧٥.

وفي خطاب المكذبين: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان:٥] يأتي التوجيه الرباني ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفرقان:٦]. ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الفتح:١٤] يأتي الترغيب بعد الترهيب.

وفي دعوته للكفار يكرر ﷾ صفة الرحمن في آيات عديدة، ليتعرضوا لرحمته بالتوبة، وهي آيات دعوة ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۢ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [الملك:١٩-٢٠].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴾ [الفرقان: ٦]. ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:٤٢].

ومع المنافقين: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الأحزاب:٢٤].

وهذا التوجيه الرباني للنبي ﷺ في دعوته للمكذبين من اليهود ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] فهو ﷾ يجمع بين الترغيب والترهيب، ومع أنهم يكذبونه إلا أن الله يأمره أن يخبرهم بسعة رحمة الله تعالى.

وها هو يرغب أهل الكتاب في دعوتهم إلى الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[الحديد:٢٨] جاءت الرحمة والمغفرة في هذه الآية الكريمة.

وها هو المولى ﷾ في معرض تهديده للكفرة الصادين عن سبيل

الله المعذبين المؤمنين بالنار يدعوهم إلى التوبة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠].

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة(١).

المطلب الثالث
وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهداية

كتب السماء متضمنة للرحمة، وسبب نزولها هو رحمة الله بالناس، وقد ضمن سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ سور القرآن الكريم بالبسملة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحة: ١].

المتأمل لكلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يجد اقتران الهداية بالرحمة في آيات عديدة، ولا شك أن هذا المنهج يبين أهمية الرحمة في بيان الهدى وأكثر ما ورد في ذلك الكتب التي أنزلها الله، فهي نور ورحمة للناس وهي رحمة بهم تخرجهم من الظلمات إلى النور، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن التوراة: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤]، ويقول: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام:١٥٤] ويقول: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةً﴾ [هود:١٧] والقرآن رحمة ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] ويقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء:٨٢] ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [القصص:٨٦].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/١٠٧.

بل إنه تعالى يصف آيات القرآن ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:١-٣]. ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

قال الزجاج: أي: هاديًا ذا رحمة(١)، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٣].

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ [الأنعام:١٥٧].

﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١].

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤].

﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾

[النحل: ٨٩].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل: ٧٦-٧٧].

---

(١) انظر التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (٨/٢٢٦).

قال ﷾: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

القرآن عبر عنه ﷾ بأنه تنزيل منه بصفة الرحمة ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت:١-٣].

وذكر الرحمن الرحيم عند ذكر تنزيل الكتاب يشير إلى الصفة الغالبة في هذا التنزيل، وهي صفة الرحمة. وما من شك أن تنزيل هذا الكتاب جاء رحمة للعالمين، رحمة لمن آمنوا به واتبعوه، ورحمة كذلك لغيرهم لا من الناس وحدهم، ولكن للأحياء جميعًا، فقد سن منهجًا ورسم خطة تقوم على الخير للجميع وأثر في حياة للبشرية(١).

وفي سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١-٢].

والقرآن العظيم: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ٢].

وجاءت رحمته ﷾ بمعنى الهداية، قال ﷾: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الشورى:٨. الإنسان:٣١]. ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح:٢٥].

المطلب الرابع
رحمة الأنبياء في القرآن الكريم

الأنبياء هم أرحم الخلق بالخلق، وأكثرهم دعوة إلى الخالق، والقرآن الكريم مملوء بقصص الأنبياء، وما ذاك إلا ليقتدي بهم النبي ﷺ كما قال ﷾: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

بل ليقتدي بهم أمته كما قال ﷾: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/٣١٠٨.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

فاللّه يأمر الأمة بما أمر به الأنبياء من توحيد اللّه والدعوة إليه وإقامة الدين.

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي أمرنا اللّه باتباعه ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣] يدعو اللّه بالرحمة ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

ودعوة إبراهيم عليه السلام مليئة بالشفقة والرحمة، منها وهو يخاطب أباه بالرحمة ويقول له: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم:٤٤-٤٥] ترغيبًا له.

ويقول سبحانه وتعالى عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤].

من رحمة الأنبياء أنهم يحببون لهم الإيمان كما أنه يجلب لهم الخير في الدنيا ترغيبًا لهم ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ [نوح:١٠-١٤] ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

ومن رحمة الأنبياء الإحسان إلى الناس ودعوتهم بأعمالهم وأخلاقهم كما يدعونهم بأقوالهم، فهذا يوسف عليه السلام وهو في السجن يتألف الناس بالإحسان إليهم، وحتى كان مرجعًا لهم ولنتأمل هذه الآية الكريم ﴿وَدَخَلَ

مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦] قال ابن عثيمين: وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والإحسان، فصدقه الحديث، وحسن السمت، وكثرة والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم.

قال القرطبي رحمه الله: كان في السجن يعزي فيه الحزين، ويعود فيه المريض، ويداوي فيه الجرحى، ويصلي الليل كله واستأنس من أهل السجن، فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف عليه السلام.

وأحبه صاحب السجن فوسع عليه، فيه ثم قال يا يوسف: لقد أحببتك حبًا لم أحب شيئًا حبك(١).

وقد استثمر هذه الأخلاق الكريم لدعوتهم إلى الله ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠].

وكان رسول الله ﷺ يقص على صحابته رحمة الأنبياء بأقوامهم، بل يحكيها لهم كأنهم يرونها، عن عبدالله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون(٢).

وسيأتي ذكر الأنبياء ورحمتهم في سورة الأعراف بمشيئة الله تعالى.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/١٨٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ برقم (٦٩٢٩). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، برقم (١٧٩٢).

المطلب الخامس
رحمة النبي ﷺ في القرآن الكريم(١)

رسالة النبي ﷺ طابعها وعنوانها الرحمة، كما أخبر سبحانه وتعالى بيانه للنبي ﷺ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وكفى بهذه الآية بيانًا للدعاة من بعده ولمن تبعه على بصيرة أن تتجلى في دعوتهم الرحمة بمن يدعوهم.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الدخان:١-٦]، والرحمة هو النبي ﷺ.

ولنتأمل بعض الآيات الكريمة في وصف النبي ﷺ.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فهو رحمة بهم وهو من أنفسهم وهو يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم.

وها هو سبحانه وتعالى يخاطب أهل الكتاب ويدعوهم إلى الإيمان بالنبي مبينًا هدايته وبعض صفات الرحمة: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

---

(١) وفي هذا المبحث سنتوسع لنشمل الكتاب والسنة نظرًا لورود صفات الرحمة في سنته ﷺ.

وبين الله سبحانه وتعالى صفة رسول الله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول السعدي رحمه الله تعليقاً على الآية: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا﴾ من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به ﷺ من اللين وحسن الخلق والتأليف امتثالاً لأمر الله وجذبًا لعباد الله لدين الله(١).

كما يأمر الله نبيه ﷺ بجواب المنافقين إنه رحمة ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٦١].

كما كان رسول الله ﷺ حريصًا على هداية قومه ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»(٢).

وعن جبير بن مطعم قال: سمّى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء فقال: «أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشَرُ الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي»(٣).

ومن رحمته ﷺ وصيته بالرحمة:

عن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ١/١٥٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١/٣٥ وابن سعد في الطبقات ١/١٩٢. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، برقم (٣٥٣٢) ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، برقم (٦٢٥١).

سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»(١).

عن أسامة بن زيد ﵄ قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله»؟! قلت: كان متعوذًا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم(٢).

عن عبدالله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون(٣).

يقول ابن القيم ﵀: تأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. كيف جمع ﷺ في هذه القامات أربع مقامات من الإحسان قابل به إساءتهم العظيمة له.

أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفاره لهم. والثالث: اعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي(٤).

ومن رحمته ﷺ النهي عن الظلم حتى مع المخالف.

عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها برقم (١٧٣١).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد برقم (٤٢٦٩) ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قل لا إله إلا الله، برقم (٢٨٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ، برقم (٦٩٢٩).

(٤) التفسير القيم، لابن القيم، دار مكتبة الهلال، ص٦٥٤.

إلى اليمن: «إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليكم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»(١).

عن أبي عبدالله الأسدي قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب»(٢). فالنبي ﷺ في هذا الحديث ينهى عن ظلم الكفار. وهذا من رحمته ﷺ بهم.

ومن رحمته ﷺ امتناعه عن الدعاء على من عاداه وآذاه، بل وتفكره ﷺ في هداية من في الأصلاب.

جاء في الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، برقم (٤٣٤٨).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٢٥٧١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٦٧).

أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبدالله وحده لا يشرك به شيئًا»(١).

وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة»(٢).

ومن رحمته ﷺ رفقه بمخالفيه. فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد قلت وعليكم»(٣).

ومن رحمته ﷺ أمره بالتبشير والتيسير ونهيه ﷺ عن التعسير والتنفير، وهذا في مقام الدعوة والتعليم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه وهريقوا على بوله سجلًا من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»(٤).

وعن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»(٥).

ومن رحمته ﷺ رفقه بالشباب العصاة.

عن أبي أمامة قال: أن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: «أدنه»، فدنا منه

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: أمين والملائكة في السماء: آمين فوافقت إحداهما الأخر عفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (٣٢٣١) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٠٢٤) ومسلم برقم (٥٧٨٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، برقم (٢٢٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم (٦٩) ومسلم برقم (٤٦٢٢).

قريبًا قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال لا واللّه جعلني اللّه فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟» قال: لا واللّه يا رسول اللّه جعلني اللّه فداءك؟ قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم؟ قال: أفتحبه لأختك؟» قال: لا واللّه جعلني اللّه فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟» قال: لا واللّه جعلني اللّه فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟» قال: لا واللّه جعلني اللّه فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(١).

وكذلك ما فعله الرسول ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، فقد أسلم الطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه قبل الهجرة في مكة ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأمر بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى اللّه جل جلاله، فأبت عليه وعصت، وأبطئوا عليه، فجاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول اللّه ﷺ فقال: «إن دوسا قد عصت وأبت فادع اللّه عليهم فاستقبل رسول اللّه ﷺ القبلة ورفع يديه فقال الناس: هلكوا فقال: اللهم اهد دوسًا وائت بهم اللهم اهد دوسًا وائت بهم»(٢).

ومن رحمته ﷺ تجاوزه عن مخالفيه.

عن جابر بن عبداللّه رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول اللّه ﷺ غزوة نجد، فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاة، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول اللّه ﷺ فجئنا فإذا أعرابي بين يديه فقال: «إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتًا

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٢٢٢٦٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح ١/١٢٩ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٠).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (٧٣١٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦/٤٤٠.

قال: من يمنعك مني؟ قلت الله. فشامه ثم قعد فهو هذا»، قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ(١).

ومن رحمته ﷺ فرحه بإسلام الكفار.

عن أنس ﵁ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال: «له أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»(٢).

المطلب السادس
رحمة الدعاة في القرآن الكريم

بعد الحديث عن رحمة الأنبياء ورحمة نبينا محمد ﷺ وهو قدوتنا، وهذا بحد ذاته كاف لاقتداء كل مسلم به ﷺ، ولكن من المفيد ذكر بعض النصوص في فضل الرحمة والأمر بها، وأنها لا تختص بالأنبياء، بل هي حتى في أتباعهم.

الرحمة من الله، والرحمة يجعلها الله في قلوب من يشاء من عباده، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٧].

بل إنه سبحانه وتعالى يخبرنا أن النجاة بالتواصي بالمرحمة ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق من خزاعة، برقم (٤١٣٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، برقم (١٣٥٦).

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ (١٤) يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ (١٥) أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ (١٧) أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ (١٩) عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾

[البلد:١١-٢٠].

والله أثنى على الخضر بالرحمة قبل العلم ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥].

وصاحب يس وهو يدعو قومه بالرحمة والشفقة كما قال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٢٣) قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ (٢٥) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس:٢٠-٢٧].

فتأمل الرحمة في دعوته من عدة وجوه:

أولًا: بقوله: (يا قوم) يتحببهم بقرابته منهم ونصحه لهم.

ومنها أنه لا يوبخهم بالشرك، لم يقل لهم: كيف تعبدون وتتخذون آلهة وهي لا تغني عنكم شيئًا، بل يجعل الأمر على نفسه ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣].

ومنها أنه يختار صفة الرحمن ترغيبًا لهم ودفعهم للهداية.

ومنها رحمته بهم وشفقته عليهم مع أنهم قتلوه بالحجارة وهو يقول: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس:٢٦-٢٧].

قال ابن عباس: نصح لقومه حيًا وميتًا(١).

يقول قتادة: إنه كان يقول وهم يرمونه بالحجارة: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي(٢).

ويقول ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم(٣).

وفي صفة النبي ﷺ وصحابته الكرام يقول سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٤).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»(٥).

وعنه أيضًا قال: قال ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٦). ومن في الأرض شاملة حتى الكفار.

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله جل جلاله»(٧).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٥/٢٢.

(٢) رواه الترمذي برقم (١٩٢٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/٣٥٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/٥٧١.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٦٧٥١).

(٥) رواه الترمذي برقم (١٩٢٤) وأبو داود برقم (٤٩٤٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/٦٣٠.

(٦) رواه الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، برقم (١٩٢٤) وقال: حديث حسن صحيح.

(٧) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، برقم (٦١٧٢).

عن عمرة عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطى على سواه»(١).

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»(٢).

عن أبي الدرداء ﵁، عن النبي ﷺ قال: «من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير»(٣).

وعنه أيضًا قال: قال ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم)(٤).

* * *

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق، برقم (٦٧٦٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق برقم (٦٧٦٧).

(٣) رواه الترمذي برقم (٢٠١٣) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٤٥٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب راحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١٣).

المبحث الثاني
معالم الرحمة في الدعوة إلى الله
في سورة الأعراف (أنموذجًا)

سورة الأعراف هي أطول سورة مكية (٢٠٦) آية، وهي في أصلها خطاب للنبي ﷺ في الفترة التي يدعو فيها كفار مكة إلى الإسلام، لذا هي سورة دعوية جاءت فيها قصص الأنبياء ودعوتهم إلى أقوامهم.

وجاءت مقدمة السورة ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٢-٩].

فمن رحمة الله في الآيات السابقة إرسال النبي ﷺ وإنزال الكتاب، ومن رحمة الله بيان عقوبة المكذبين في الدنيا، ومن رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يقص لنا ذلك لنتعظ ونعتبر، ومن رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيان العاقبة الأخروية.

ومن رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيان فضله وتمكينه لنا في الأرض، وأيضًا مننه علينا التي توجب شكره ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ

قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ (١٠) وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الإسراء: ١٠-١١].

ثم تسير السورة في قصة آدم مع إبليس.

ومن رحمته بيان فضل الله علينا وعداوة الشيطان لنا الذي هو أكبر أسباب الضلال، وهو كان سبب خروج أبانا آدم من الجنة ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٢-٢٣].

ورحمة الله تتردد في هذه السورة.

وفي سياق السورة ينادينا ربنا ﷻ نداءات بقوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ (٢٥) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٢٨) قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ (٣٠) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٣١) قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٣٢) قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ

أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ (٣٤) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٥-٣٥].

ينادينا ربنا ﷻ بقوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ ورحمة الله تظهر في هذه النداءات من خلال بيان نعم الله علينا باللباس، وان معصيته ﷻ تنزع عنا هذا اللباس، وأن خير لباس التقوى.

والتحذير من الشيطان، وبيان خطورة القول على الله بغير علم، وبيان أن الله أوامره إنما هي بالقسط، وأن لا يأمر بالفحشاء، وإنما هو يحرم الفواحش ولا يحرم الزينة والطيبات، وأنه خالصة للمؤمنين يوم القيامة.

وفي الختام يبين أهمية اتباع الرسل وعاقبة التقوى والصلاح.

كما يعرض محاجات أهل النار بعضهم لبعض ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الأعراف:٣٨] وهذا من رحمته ﷻ أن بين لنا مصير المكذبين، كما يعرض لمصير المؤمنين ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٤٢) وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف:٤٢-٤٣].

فرحمة الله تتجلى في الآيات السابقة بالثناء على المؤمنين، وأنه ﷻ لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وعاقبة المؤمنين وبيان فضل الله عليهم بهدايتهم.

ثم يعرض رحمة الله ﷻ في قصة أصحاب الأعراف ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف:٤٩].

والمقسمون هم الكفار، أقسموا على بعض المؤمنين أو على أصحاب الأعراف ألا يدخلوا الجنة⁽¹⁾.

---

(١) انظر تفسير سورة الأعراف في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٤٥٩/١٢). =

وتمضي الآيات الكريمة بقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢] فالقرآن الكريم هدى ورحمة.

ومن رحمته ﷻ كمال ربوبيته، وأنه ﷻ كما أنه الخالق وحده فهو الآمر وحده، ثم يدعونا ﷻ إلى دعائه، وبين ذلك بنهينا عن الفساد، وتختتم الآيات بمستحق رحمته.

يبين الله ﷻ عظمته وأن كل شيء بيده بلفظ الربوبية، ثم يدعو ﷻ إلى دعائه ورجاء رحمته ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٤-٥٦].

كما يعرف بنفسه ﷻ وبرحمته بإنزال الغيث ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:٥٧-٥٨] وهو مثل للمؤمن والكافر، فهو ﷻ ينزل الغيث، وهنا يضرب مثلين الأول للبعث وإخراج الموتى كإخراج الزرع، والآخر للمؤمنين والكافرين في الإفادة من القرآن الكريم، فالمؤمنون كالأرض الطيبة التي تستنبت من الغيث والكافر كالأرض السبخة.

وهذه الأمثال من رحمة الله بعباده وبيان الحق لهم، وهي مقدمة لقصص الأنبياء.

ثم تمضي الآيات الكريمات إلى قصص الأنبياء، وقد ساق الله القصص

= وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣/٤٢١). والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٧/٢١٤) في تفسير الآية.

القرآني للأنبياء للعبرة والاقتداء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

فبدأ بقصة نوح عليه السلام ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ (٥٩) قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٦٠) قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٩-٦٤].

نتأمل معالم الرحمة في دعوة نوح عليه السلام، فهو يخاطب قومه ويتلطفهم يقول: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ وأعظم الرحمة أمره لهم بالخير، وأعظمه عبادة الله وحده، وبيانه عليه السلام، أن ليس لهم إله غيره، وبين مظاهر رحمة نبي الله بهم، وخوفه عليهم من عذاب الله. ومع ذلك كانت إجابتهم جانبت الأدب، إذ يصفونه بالضلال المبين، وكان رده عليهم مظهرًا آخر من مظاهر الرحمة، حيث لم يجبهم بأنهم ضلال، ولو قال ذلك لكان حقًا، ولكنه بكل رحمة يستلطفهم بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

ثم يبين أن دافعه إبلاغ الرسالة، ونصيحته لهم، كما بين لهم خطأ تعجبهم أن يأتيهم ذكر من ربهم على رجل منهم، فهو ذكر من ربهم وعلى رجل منهم ليس من غيرهم ومقصوده إنذارهم وحصول التقوى منهم وحصول الرحمة لهم فمقصود دعوته الرحمة بقومه.

ونتأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ أي: أقصد صلاحكم بإخلاص وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة، وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك، أو النهاية في صدق العناية[1].

---

[1] انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ١/٥٧٧.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ونوح عليه السلام في موضع آخر وهو يناجي ربه يقول: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٧] فمقصود دعوته الرحمة بقومه.

وفي قصة عاد ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٞ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٖ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةٗۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٖ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٦٥-٧٢]. نلاحظ رحمة هود عليه السلام على قومه.

فنلاحظ قول المولى جل جلاله: ﴿أَخَاهُمْ هُودًاۗ﴾ وهذا له مدلوله من الاستعطاف والنصح، ثم هو يدعوهم إلى الخير وأعظمه عبادة الله وحده ويحثهم على التقوى، كما بين لهم دوافعه وهو قيامه بالبلاغ والنصيحة لقومه.

نفس المشهد يتكرر، يقولون له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ وهو يرد عليهم بكل أدب ورحمة: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كما بين لهم الباعث له البلاغ والنصيحة ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ ويرغبهم بالإيمان، ويذكرهم بنعم الله عليهم ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وفي قصة ثمود تتكرر كثير من المشاهد يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ

أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٣-٧٤].

نلاحظ تكرار كثير مما سبق من استعطافهم والنصح لهم، ونلاحظ أيضًا مظاهر أخرى للرحمة بذكر البينات التي أعطاها الله إياه ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾، ويخوفهم من عذاب الله وما ذاك إلا رحمة بهم.

وهو يذكرهم أيضًا بنعم الله عليهم ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ وبعد نزول العذاب عليهم يخاطبهم نبيهم صالح بكل رحمة وشفقة ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩].

وفي قصة لوط عليه السلام، يخاطب قومه بكل شفقة: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٨٠].

وفي قصة مدين ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف:٨٥-٨٦].

سماه الله ﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ وهو يبين لهم أن ما يأمرهم به هو خير لهم، ويذكرهم بنعم الله عليهم، ويخوفهم من عاقبة المفسدين.

وفي النهاية، وبعد نزول العذاب ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٣].

ومن رحمته أنه يصيب الأمم بالبلاء حتى يعودوا إلى ربهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف:٩٤]، قال الطبري رحمه الله: هو البؤس وشظف المعيشة وضيقها، والضراء: الضر وسوء الحال في أسباب دنياهم، وقال القرطبي رحمه الله: البأساء في الأموال، والضراء في الأبدان.

قال الطبري رحمه الله: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلى ربهم ويستكينوا إليه وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم.

فهذا البلاء هو من الرحمة ليعودوا إلى ربهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

ومن ذلك ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] قال القرطبي رحمه الله: ليتعظوا وترق قلوبهم.

وفي قصة موسى من معالم الرحمة.

فمن رحمة الله ما أعطى الله موسى من بينات ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥] وبعد أن رأى قومه يعبدون العجل، موسى نفسه يتعرض لرحمة الله ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

كما أن الرب بعد أن توعد عبدة العجل فإنه سبحانه وتعالى بين رحمته وقبول توبة عباده، ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٥٣].

وبين الله ﷻ ما في الألواح من رحمة وهدى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤].

وها هي الرحمة تتكرر مرة أخرى في دعوة موسى بعد أن أخذت قومه الرجفة ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥].

ونتأمل دعاء موسى ؑ وخطابه لله ﷻ، وجوابه ﷻ، ونتأمل ما فيها من تكرار الرحمة ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

فلنتأمل هذه العبارة العظيمة ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ﴾. قال البغوي ﵀: أي: عمت كل شيء(١). وقال الحسن وقتادة: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة(٢).

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٢/٢٣٨.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ٢/٢٣٨.

قال ابن كثير في تفسير ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ﴾: «الآية عظيمة الشمول والعموم»(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسعت كل شيء من العالم العلوي والسفلي، والبر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، لكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة ليست لكل أحد ولهذا قال: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨](٢).

ثم أثنى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على المتبعين للنبي ﷺ وهي بشارة به، وبيان أنهم يستحقون رحمة الله.

وفي قصة أصحاب السبت الذين عصوا الله بالصيد في يوم السبت فقامت طائفة بنصحهم، وهناك طائفة ثالثة قالت للناصحين: اتركوهم إنهم مهلكون، فأثنى الله على أولئك الناصحين وبين نجاتهم ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

فتأمل مظاهر الرحمة في نصح الناصحين في قولهم: (ولعلهم يتقون) قال ابن كثير: «ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم»(٣).

ومع ذكر القرآن مخازي بني إسرائيل وعصيانهم فإن الله يفتح باب الرحمة ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٤٨١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ١/ ٣٠٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٤٩٤.

ومن رحمته سبحانه وتعالى دلالته لهم عليه بالنظر في حال النبي ﷺ، وأيضًا في ملكوت السموات والأرض وتخويفهم من اقتراب أجلهم ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٤-١٨٥].

وكذلك بيان حال هؤلاء الشركاء وضعفهم وعجزهم ليوحدوا الله سبحانه وتعالى، بعد أن ذكر سبحانه وتعالى إشراك الأولين به في خلقه مع أنه هو الذي خلقهم ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (١٩٠) أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ (١٩٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:١٨٩-١٩٥].

فلنتأمل هذا البيان الشافي الكافي من ربنا سبحانه وتعالى في ضعف وعجز الشركاء.

ثم مظاهر الهداية بالموعظة والتذكير ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وفي ختام السورة تتجلى الرحمة في مواقع منها توجيه للنبي ﷺ في دعوته ومكابدته للكفار المعرضين ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال الطبري رحمه الله: أمر بذلك نبي الله ﷺ في المشركين ورجح أنه غير منسوخ فيمن لم يؤمر بقتالهم(١).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: آية:٢٠] ثم الرحمة في استماع القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

* * *

---

(١) جامع البيان، الطبري، ١٣/٣٢٩.

الخاتمة

فإني أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا:

١. أهمية الدعوة إلى الله في إقامة الدين.

٢. وجوب الدعوة على هذه الأمة وفضلها على أفرادها.

٣. الرحمة من أهم صفات الله تعالى.

٤. القرآن الكريم وبعض كتب السماء رحمة وهدى.

٥. دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانت رحمة وبالرحمة، لا سيما دعوة النبي ﷺ طابعها الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

٦. أهمية الرحمة في الدعوة إلى الله تعالى.

٧. تبين سورة الأعراف ظهور الرحمة في آيات السورة ومعانيها وقصص الأنبياء.

التوصيات:

كما نوصي في ختام هذا البحث بما يلي:

١. العناية بالرحمة في المؤتمرات العلمية والبحوث والكتب والندوات الثقافية لتثقيف أمتنا بهذه المعاني السامية في الأوساط الثقافية.

٢. أهمية غرس الرحمة من قبل المعلمين والمربين والآباء في نفوس النشء.

٣. ضرورة عناية الدعاة بخلق الرحمة في دعوتهم لما لها من أهمية بالغة حث عليها الشرع المطهر.

٤. ضرورة عناية وسائل الإعلام بموضوع الرحمة في الأمة.

٥. أهمية عناية المساجد في الخطب والدروس بغرس الرحمة وتوجيه المسلمين لها.

* * *

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.

٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٢هـ.

٣. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الأندلس للباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ.

٤. التفسير القيم، لابن القيم الجوزية، دار مكتبة الهلال،.

٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٦. تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي.

٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٩. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٦.

١٠. الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١. الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله، حمزة سليمان الطيار، موقع طريق الإسلام،

١٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط. ت.

١٣. سنن أبو داود، أبو داود السجستاني، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٤. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٥. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٦. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، تحقيق: نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٧. الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل محمد صالح، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٨. الطبقات الكبرى، ابن سعد.

١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، لبنان الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٧هـ.

٢٠. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم،.

٢٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد النسفي

٢٥. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ

٢٦ . مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، د . ط . ت .
٢٧ . معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .
٢٨ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ .
٢٩ . مفردات اللغة، الراغب الأصفهاني، .
٣٠ . منهج الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، راجح السباتين، من موقعه على الإنترنت .

* * *